الظاهرة الدلاليث في الدرس النحوي العربي

د . بلقاسم بن موناح
جامعث العربي بن مهيدي -أم البواقي

الملخص:

يتناول البحث جملة من الأدلّة الإثباتيّة والمؤشّرات القطعيّة الشّاهدة على حضور الظّاهرة الدّلاليّة في الدّرس النّحويّ العربيّ.

استهللته بحديث موجز عن ظاهرة الجحود الّتي طالت أقلاما أسهبت الحديث عن تجلّيات الظّاهرة الدّلاليّة في مختلف العلوم إلّا علم (النّحو العربيّ)، فحاولت إثبات حقيقة أنّ الدّلالة لها أيضا في الدّرس النّحويّ العربيّ جذور وأصول. ثمّ أكّدت بالدّليل الشّاهد ومن خلال ما يسمّى بالتّعانق النّحويّ الدّلاليّ أنّ الدّلالة (كظاهرة) هي أعلق بدرس النّحو حتّى من بعض المسائل الإجرائيّة ذاتها، مستدلاّ بتلك المعالجة الدّقيقة الّتي حظيت بها في هذا الدّرس – مثلا – حروف المعاني، هاته الّتي لم يتجاوز عملها الحالات الأربعة المعروفة (الرّفع، النّصب، الجرّ، الجزم) في مقابل معان كدنا ألّا نجد لها حصرا . ضف إلى ذلك ما تميّزت به كثير من البنى الإفراديّة وكذا بعض المركّبات الإسنادية من دلالات ثابتة، أو متغيّرة حسب سياقاتها، في إشارة إلى ما يسمّى اليوم بالانزياح الدّلاليّ.

ثمّ أشرت إلى أنّ كثيرا من الموضوعات المتناولة في علم الدّلالة قد سبقت ببعض الدّراسات ـــ العربيّة ـــ المتفرّقة منذ أمد بعيد، من ذلك ما يسمّى بنظريّة السّياق، ونظريّة الحقول الدّلاليّة، وكذا مسألة الانزياح المذكورة.

وفي الأخير فقد ألححت على ضرورة تدعيم البرامج والمقرّرات التّربويّة المتعلّقة بالدّرس النّحويّ ـــ خصوصا ـــ بالحديث عمّا ذكرنا من الظّواهر الدّلاليّة الملتبسة به.

الكلمات المفتاحيّة: الظّاهرة، الدّلالة، النّحو، التّراث النّحويّ، المدوّنة النّحويّة، المعاني، التّجلّيات.

Abstrat:

The research deals with a number of evidence and peremptory indicators of the presence of the semantic phenomenon in the Arabic grammatical lesson.

I was surprised by a brief talk about the phenomenon of arrogance that lasted for many years. I spoke about the manifestations of the semantic phenomenon in different sciences except in the Arabic grammar. I tried to prove the fact that the semantics also have roots and roots in the grammar lesson.

The evidence, through the so-called subliminal syntactic hugging, is that the signification (as a phenomenon) is suspended in the grammar lesson even from some of the procedural issues themselves, based on the precise treatment that was given in this lesson - for example, the letters of meanings, Known (lifting, monument, traction, assertion) in exchange for meanings like we can not find them exclusively.

In addition to this, many of the individual structures, as well as some of the synodal compounds, have constant or variable connotations according to their contexts, in reference to the so-called symbolic shift.

I pointed out that many of the topics discussed in the semantics have preceded some of the long-standing Arab studies, including so-called theory of context, and the theory of semantic fields, as well as the issue of displacement mentioned.

Finally, it stressed the necessity and importance of strengthening educational programs and decisions related to grammatical study, especially by talking about the semantic phenomena mentioned in it.

-Keywords-: Phenomenon, Significance, Grammar,.

Grammar heritage, Grammar Code , Meanings, Representations.

مقدمة:

كثيرة هي المصنّفات الّتي تعنى بالدّرس النّحويّ العربيّ قديمها وحديثها، ومثلها الّتي تعنى بعلم الدّلالة نشأة وماهية وموضوعات، واللّافت فيها هو قلّة البحث في ذلك الدّرس بما له علاقة بالظّواهر الدّلاليّة الّتي قد يفترض عدّها من اللّبنات الأساس في الدّرس الدّلاليّ بمفهومه الحديث.

إنّ علم الدّلالة بمفهومه الاصطلاحي لم يظهر إلاّ في العصر الحديث و« ليس معنى وجود الاهتمامات السّابقة بمباحث الدّلالة أنّ علم الدّلالة قديم في نشأته قدم الدّراسات اللّغويّة، ولكنّا نقول: إنّ بعض مباحثه قد أثيرت، وبعض أفكاره قد طرحت للمناقشة، ولكن دون تمييزه عن غيره من فروع علم اللّغة »[1]، وعليه فما من علم من العلوم إلاّ ويحوج – في تأسيسه أو لتطويره – إلى مراحل متباينة العصور والأمصار ومتعدّدة الأنصار فيدلي هذا بدلوه وذاك بما لديه فتتقارب الرّؤى، وتتبلور الأفكار وتنتظم النّتائج، ثم يصير – في النّهاية – لهذا العلم كيانه الخاصّ، ومنهجه المتميّز، ومصطلحاته الّتي ينفرد بها.

والدّرس النّحويّ العربيّ نفسه ليس بمنأًى عن هذه الحقيقة، فأعلام القرنين الهجريّين (الأوّل والثّاني) بما قدّموه للنّحو أمثال أبي الأسود الدّؤلي (ت: 69هـ)، ونصر بن عاصم (ت: 90) وعبد الرّحمن بن هرمز (ت: 117)، وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ (ت: 117هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (ت: 145هـ) وعيسى بن عمر (ت: 149هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت: 175هـ) وغيرهم[2] ... رسموا معالم الدّرس النّحويّ في بداياته قبل أن يظهر للوجود كتاب سيبويه (ت: 180هـ) الّذي لم يتوان بعضهم أن يتزله منزلة قرآن النّحو[3]، ومع ذلك، وبعد قرون ستّة تزدان تلك المدوّنة بما

---

[1]– علم الدّلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1988 م، ط: 02، ص: 21–22.

[2]– ينظر: النّحو العربيّ– أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه– مع ربطه بالدّرس اللّغويّ الحديث، محمّد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، 1430هـ/ 2009 م، ط: 01، ص: 05.

[3]– ينظر: المفصّل في تاريخ النّحو، محمّد خير الحلواني، مؤسّسة الرّسالة، 1979م، ج: 01، ص: 53–54

قدّمه للنّحو ابن هشام الأنصاريّ الذي أحدث تغييرا في الدّرس النّحويّ على مستوى التّوزيع والمعالجة.

كلّ ذلك من غير أن نغفل عن المنعطف الحاسم الذي أحدثه الجرجاني على المستوى الدّلاليّ من ذلك الدرس حيث استطاع – بفضل الله – أن يخرج به من دائرة الأحكام وتفريعاتها وتعليلاتها إلى مرحلة التّفقّه في النّحو ومعانيه.

الدّلالة: جذورها وآفاقها في الدّرس النّحويّ العربيّ

من الحقائق الضّاربة بجذورها في أعماق تاريخ التّأليف في النّحو العربيّ أنّه ما انفكّ هذا الموروث يحمل في طيّاته بذور الدّرس الدّلاليّ بما تضمّنته مصنّفاته من الإشارات بل ومن التّجلّيات الصّريحة لكثير من القضايا الدّلاليّة المتنوّعة بتنوّع موضوعات النّحو وقضاياه وكتبه ورجاله على اختلاف مشاربهم الفكريّة والأصوليّة «بل إنّك تستطيع بقليل من التفحّص [لكتاب سيبويه] أن تشاهد جذور وبدايات نظريّات علم الدّلالة وعلم اللّغة الاجتماعيّ»[1].

فمن الأمور الّتي تثبت فكرة تعانق النّحو والدّلالة مسألة "التّعليق والقبول" والّتي قد أشار إليها كثير من المحدثين في معرض الحديث عن ضرورة احترام قواعد النّحو وعدم انتهاكها لوجوب حصول المعنى[2]، ورد في كلام المبرّد أنّ «اللّفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئا وإذا قرنتها بما يصلح حدث معنى واستغنى الكلام»[3]، ولعلّ أهمّ وسائل هذا التّعليق هو الإسناد الّذي يعني «أن تركّب كلمة مع كلمة تنسب إحداهما إلى

[1]– تطوّر الفكر النّحويّ من سيبويه إلى ابن السّرّاج، زينب أحمد طه، مكتبة الآداب، 2010م، ط: 01، ص: 19.

[2]– ينظر: النّحو والدّلالة – مدخل لدراسة المعنى النّحويّ الدّلاليّ– محمّد حماسة عبد اللّطيف، دار الشّروق، 1420هـ/ 2000م، ط: 01، ص: 12.

[3]– المقتضب، أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، دار الكتاب المصريّ، القاهرة، دار الكتاب اللّبنانيّ، بيروت، 1399 هـ/1979 م، ط: 02، ج: 04، ص: 126.

الأخرى ... وذلك لا يحصل إلّا من اسمين نحو زيد أخوك والله إلهنا ... أو من فعل واسم، نحو قام زيد وانطلق بكر»[1].

ومن التّجلّيات الّتي جعلت من هذه الإشارات بداية نظريّة فهم النّصّ وكشف خباياه ما ذكره عبد القاهر الجرجانيّ من «أنّ الفصاحة لا تكون في أفراد الكلمات وأنّها إنّما تكون فيها إذا ضمّ بعضها إلى بعض ... ذلك لأنّه ليس من عاقل يفتح عين قلبه إلّا وهو يعلم ضرورة أنّ المعنى في ضمّ بعضها إلى بعض لا أن ينطق ببعضها في أثر بعض من غير أن يكون فيما بينها تعلّق ويعلم كذلك ضرورة – إذا فكّر – أنّ التّعلّق يكون فيما بين معانيها لا فيما بينها أنفسها ... ومن أجل ذلك انقسمت الكلم قسمين مؤتلف وهو الاسم مع الاسم والفعل مع الاسم، وغير مؤتلف وهو ماعدا ذلك كالفعل مع الفعل والحرف مع الحرف»[2]. كما قد كشف الجرجانيّ أيضا دور علم النّحو في فهم المعنى بقوله: «واعلم أن ليس النّظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الّذي يقتضيه علم النّحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه الّتي نهجت فلا تزيغ عنها»[3].

وعليه فمن الجدير أن نتساءل عن سبب جفاء أغلب الأقلام الّتي استوفت الدّرس الدّلاليّ حقّه، وتطرّقت معظمها إلى ذكر المؤلّفات الّتي تعنى بالكلام عن نشأة هذا العلم وتغلغله في مختلف العلوم الأخرى متجاوزين بذلك الحديث عن الدّرس النّحويّ العربيّ وأسراره.

إنّ مثل هذا ليدفع بنا إلى مساءلة تاريخيّة جادّة نستنطق من خلالها ـــ وبكلّ موضوعيّة ـــ تلك المدوّنة عن نصيب موضوع الدّلالة فيها، فهل حظي هذا الأخير

---

[1]– شرح المفصّل، موفّق الدّين يعيش بن عليّ بن يعيش النّحويّ، تحقيق: إبراهيم محمّد عبد الله، دار سعد الدّين، 1434 ه / 2013 م، ط: 01، ج: 01، ص: 47.

[2]– دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ، بحث – تقديم: عليّ أبو زقية، موفم للنّشر، الجزائر، 1991 م، ص: 415-416.

[3]– نفسه، ص: 94

بشيء من عناية النّحاة العرب؟ وهل ورد في تصانيفهم ما يتعلّق بإجلاء الجديد من المعاني المنبثقة عن مختلف الأحكام والقواعد؟

لقد ألمح عبد القاهر الجرجانيّ وبصريح اللّفظ عن الأبعاد الدّلاليّة الكامنة في الدّرس النّحويّ العربيّ أواسط القرن الخامس الهجريّ، فممّا جاء في ذلك قوله: «وأمّا زهدهم في النّحو واحتقارهم له وإصغارهم أمره وتهاونهم به فصنيعهم في ذلك ... أشبه بأن يكون صدّا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه... فالألفاظ مغلقة على معانيها حتّى يكون الإعراب هو الّذي يفتحها والأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنّه المعيار الّذي يتبيّن نقصان كلام ورجحانه حتّى يعرض عليه، ولا ينكر ذلك إلّا من ينكر حسّه»[1]، ثمّ يسترسل في ذكر حجج مقبولة وأخرى واهية يستند إليها بعض المغرضين، فيؤازرهم الرّأي إن تعلّق الأمر ببعض المسائل الّتي لا ترتجى منها في الغالب فوائد عمليّة[2]، لكن سرعان ما يعيب عليهم سوء اختيارهم بحصرهم لموضوعات النّحو فيما ذكروا من المسائل الشّكليّة ومنعهم أنفسهم ما فيه الحظّ لهم ممّا قد يسمو بهم في مدارج الحكمة لما اعترفوا بصحّته وأقرّوا بالحاجة إليه[3].

والواقع أنّ الّذي اعترفوا بصحّته والحاجة إليه عند التّفسير والتّأويل أو الفهم الصحيح لكلام العرب عموما هو أوسع من أن يحدّ وأكثر من أن يعدّ[4].

ولأجل ما ذكر فقد كان الهدف من هذا البحث هو الكشف عن بعض ملامح الظّاهرة الدّلاليّة من خلال ما ورد في ثنايا جملة من موضوعات الدّرس النّحويّ العربيّ عسى أن يكون لهذا دوره في إجلاء الوجه الحقيقيّ لهذا الدّرس الّذي لا يكتفي بذكر الأحكام المجرّدة عن محتواها الرّوحيّ (الدّلاليّ)، بل إنّه ليهدف إلى الفهم الجيّد للنّصوص

---

[1]- نفسه، ص: 43.

[2]- ممّا ذكره الجرجانيّ اهتمام بعضهم بالبحث عن الموازين الصّرفيّة لبعض الألفاظ الوحشيّة كلفظ (عزويت) و(أزونان) وغيرها، ينظر: المرجع نفسه، ص: 44.

[3]- ينظر: م نفسه، ص: 45.

[4]- ينظر: م نفسه، ص: 45-46-47.

عموما، وللقرآن الكريم على وجه التّخصيص، ومن ثمّ إلى إحداث التّغيير الشّامل نحو الأمثل، ولن يحدث من ذلك شيء ما لم يكشف عن الأبعاد الدّلاليّة الكامنة فيه لأنّنا «إذا كنّا نصنّف هذا العلم ضمن علوم الآلة لأنّ خلاصته قواعد يفكّ بها ما هو مستغلق من النّصوص، فلا نفصل القاعدة عن غايتها الموجّهة إلى فهم معاني الجمل والتّراكيب، هذه المعاني الّتي تحرّك فعاليّة التّغيير الموجّه في المجتمع بخاصّة إذا ارتبط هذا العلم بالنّصّ القرآنيّ مباشرة»[1]، فالآلة الّتي أعرب بها القرآن الكريم والحديث الشّريف لن تكون عاجزة أبدا عن استيعاب ملابسات العصر، وإنّما العقل العربيّ المعاصر هو من غُيّب وعيه وأتلفت مرجعيّته في خضمّ التّكنولوجيا الحديثة الغالبة[2]. ثمّ إنّ النّحو «ليس موضوعا يحفل به المشتغلون بالمثل اللّغويّة والّذين يرون إقامة الحدود بين الصّواب والخطأ أو يرون الصّواب رأيا واحدا النّحو مشغلة الفنّانين والشّعراء، والشّعراء أو الفنّانون هم الّذين يفهمون النّحو أو هم الّذين يبدعون النّحو فالنّحو إبداع»[3].

ومسلّم أنّ الأمر لن يكون كذلك ما لم تراع جوانب أخرى غير الأحكام الإجرائيّة المألوفة من نحو تقديم أو تأخير أو زيادة أو حذف لدلالة استثنائيّة يمليها السّياق والمعنى المراد، أو كتحويل جذريّ لنمط التّركيب الأصليّ من نحو بناء الفعل للمجهول أو تغيير مركّب فعليّ إلى اسميّ، وغير ذلك من الظّواهر العارضة.

تلكم بعض ملامح أهمّيّة درسنا النّحويّ، والّتي بقدر ما تشمل الجوانب الموضوعيّة، والإبداعيّة فهي تهدف إلى تفعيل حركة التّغيير الّتي لن تتحقّق إلّا بالفهم المعمّق لمعاني النّصوص، والّذي – بدوره – لن يتأتّى إلّا بالفهم الجيّد للنّحو وقوانينه، وعليه فقد ارتأينا (الاستنباط) خير وسيلة ننتهجها مع شيء من التّحليل الموجز بغرض

---

[1]– النّحو العربيّ بين المرجعيّة التّراثيّة وجدل التّجديد، ذهبية بورويس، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة. الجزائر، 2011م، عدد: 12، ص: 214.

[2]– ينظر: م، نفسه.

[3]– النّحو والشّعر – قراءة في دلائل الإعجاز –، مصطفى ناصف، مجلّة فصول، أفريل 1981م، ع: 03، ص: 36.

الإثبات فوقع اختيارنا على جملة من النّماذج حاولنا – من خلالها– الكشف عن مدى الرّابط الّذي يجمع الدّرس النّحويّ بنظيره الدّلاليّ، فلولا انتشار دائرة النّحو لتشمل– إلى جانب الأحكام والقواعد – كثيرا من المعاني المتجدّدة بتجدّد الصّيغ[1] والتّراكيب[2] ومختلف السّياقات[3] لما كان لعلم الدّلالة وجود، أو على الأقلّ ما كان ليكون اليوم بهذا الانتشار المشهود . كيف لا، وإنّه لمن ضروريّات التّحليل الدّلاليّ ما يسمّى بالمستوى الصّرفي والمستوى النّحويّ (التّركيبيّ) فضلا عن الجانبين المعجميّ والصّوتيّ[4] .

النّحو والدّلالة:

العلاقة بين النّحو والدّلالة هي من المباحث الّتي أسالت حبر الكثيرين (من القدماء والمحدثين)، فهذا ابن جنّي (ت: 392) وبعد أن بيّن وظيفة اللّغة بأنّها للتّعبير عن أغراض النّاس ومقاصدهم[5]

عرّف الإعراب بأنّه «الإبانة عن المعاني بالألفاظ»[6]، «فالكلام أضرب وأشكال والإعراب هو الّذي يفكّ ما استغلق منه فيكشف عن مقصده في إطار نسق معرفيّ منظّم هو النّحو»[7]، ثمّ «إنّ أولى ما تقترحه القرائح وأعلى ما تجنح إلى تحصيله الجوانح ما يتيسّر

---

[1]– ومثاله: تغيّر المعنى لتغيّر المبنى في نحو: طاف وطوّف/ كسر وانكسر.

[2]– ومثاله تغيّر المعنى لتغيّر التّركيب في نحو: ما أكرم محمّد إلّا عليّا و ما أكرم عليّا إلّا محمّد.

[3]– إشارة إلى أهمّية السّياق ودوره في فهم المعنى، والّتي كان قد أشار إليها الأوّلون قبل أن تظهر للوجود نظريّات التّحليل الدّلاليّ والّتي منها ما ذكرنا / يراجع كتاب الأضداد لأبي بكر محمّد بن القاسم (ابن الأنباريّ، ت: 328هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، 1987، 2.

[4]– ينظر: التّحليل الدّلاليّ، إجراءاته ومناهجه، كريم زكي حسام الدّين، دار غريب، القاهرة، ج: 01، ص: 92

[5]– ينظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت: 396هـ)، تحقيق: عبد الحكيم بن محمّد، المكتبة التّوفيقيّة، ج: 01، ص: 44.

[6]– ينظر: الخصائص، السّابق، ص: 46.

[7]– النّحو العربيّ بين المرجعيّة التّراثيّة وجدل التّجديد، السّابق، ص: 215.

به فهم كتاب الله المنزّل ويتّضح به معنى حديث نبيّه المرسل (صلّى الله عليه وسلّم) ... وأصل ذلك علم الإعراب»[1]. ولعلّه في هذا السّياق يمكن الوقوف على سرّ إطلاق (معاني القرآن) عنوانا لكلّ من كتاب الفرّاء (ت: 207هـ) وكتاب الأخفش (ت: 207هـ)، رغم أن المحتوى في كليهما إعراب وبيان للوظائف النّحويّة للكلمات وللجمل.

ومن المحدثين الّذين أشاروا إلى تلكم العلاقة عبد اللّطيف حماسة الّذي صرّح بأنّ الفكرة الّتي شغلته هي « تعانق النّحو والدّلالة تعانقا حميما بحيث يكون الفهم الصّحيح للنّحو هو الفهم الصّحيح للأساس الدّلاليّ الّذي يقوم عليه النّصّ»[2]، وكذلك محمّد طاهر الحمصيّ الّذي نوّه «بمحاولة الإمام عبد القاهر في كتابه (دلائل الإعجاز)، [والّتي] كانت في هذا السّياق دعوة إلى العودة بالنّحو ليكون سبيلا إلى بلوغ الصّورة القويمة للّغة، ووسيلة لفهم كلام العرب – ولاسيما القرآن الكريم – والوقوف على أسرار نظمه وتأليفه»[3]، وكذلك أحمد مختار عمر الّذي صرّح – كغيره– بعدم إمكان فصل علم الدّلالة عن بقيّة فروع اللّغة، كالجانب الصّوتيّ والجانب الصّرفيّ والجانب النّحويّ والجانب المعجميّ[4]، ثمّ جاءت مبادرات لتطبّق ذلك على النّصّ القرآنيّ مباشرة ككتاب "نظريّة النّحو القرآنيّ ــ بين الدّلالة اللّغويّة والدّلالة الدّينيّة" ــ لكعواش عزيز، وكتاب "النّحو القرآنيّ الدّلاليّ" لــ

---

[1]– مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدّين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام (ت: 761هـ)، ومعه السّبك العجيب في نظم مغني اللّبيب لعبد الحفيظ، تحقيق: صلاح عبد العزيز عليّ السّيّد، دار السّلام القاهرة، 1424 هـ/2004م، ط: 01، ج: 01، ص: 11.

[2]– النّحو والدّلالة، السّابق، ص: 10.

[3]– من نحو المباني إلى نحو المعاني، بحث في الجملة وأركانها، محمّد طاهر الحمصيّ، دار سعد الدّين، دمشق، 1424هـ/2003م، ط: 01، ص: أ–ب.

[4]– ينظر: علم الدّلالة، السّابق، ص: 13–14

حقيقة النّحو:

تعدّدت آراء النّحاة القدماء حول تعريف النّحو فتباينت مرّة وتماثلت أخرى لكن في النّهاية كانت كلّها تصبّ في مصبّ واحد. يقول ابن جنّي في تعريفه له بأنّه «انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره، كالتّثنية والجمع والتّحقير والتّكسير والإضافة والنّسب والتّركيب وغير ذلك»[1]، أمّا ابن عصفور (ت: 696هـ) فيعرّفه بأنّه «علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب»[2]، وأمّا الخضريّ فيبسّط الحديث في ذلك بأنّه «علم بأصول مستنبطة من كلام العرب يعرف بها أحكام الكلمات العربيّة حال إفرادها كالإعلال والإدغام والحذف والإبدال، وحال تركيبها كالإعراب والبناء وما يتبعهما من بيان شروط لنحو النّواسخ وحذف العائد، وكسر إنّ أو فتحها ونحو ذلك ....»[3].

من هذه التّعريفات نخلص إلى أنّ النّحو تكامل بين جانبيّ النّظر والتّطبيق[4]، أمّا النّظريّ فمستخلص من لفظة (العلم) الّتي وردت في كلام كلّ من ابن عصفور والخضريّ، وأمّا التّطبيقيّ فمستنبط من لفظة (الانتحاء) الّتي ذكرها ابن جنّي فأراد بها الأداء اللّغويّ[5]

ثمّ إنّ النّحو كما هو إعراب يعنى بأواخر الكلمات، وتركيب يعنى بالعلاقات الإسناديّة بين هاته الكلمات المؤدّية إلى المعرفة بالدّلالة النّحويّة[6]، فهو مشتمل أيضا على

---

[1]- الخصائص: السّابق، ص: 45.

[2]- المقرّب، ابن عصفور: تحقيق: أحمد عبد السّتّار الجواريّ، وعبد الله الجبوريّ، مطبعة العاني، بغداد (1971-1972م)، ج: 01، ص: 45.

[3]- حاشية الخضريّ على شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، دار الفكر، بيروت، 1431-1432هـ/ 2010م، ج: 01، ص: 15.

[4]- ينظر: النّحو العربيّ، أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه، السّابق، ص: 14.

[5]- ينظر: م نفسه، ص: 08.

[6]- ينظر: جدل اللّفظ والمعنى، مهدي أسعد عرّار، دار وائل للنّشر، عمان، الأردن، 2002 م، ط: 01، ص: 27.

جانب الصّيغ الصّرفيّة[1]، بل وحتّى على بعض حروف المعاني، والمعاني جمع مفرده "المعنى"، والمعنى ـــ كما هو معروف ـــ هو الدّلالة، وعليه فيمكن القول بأنّ الدّلالة ـــ كظاهرة ـــ قد بدت بوادرها أوّل ما ظهر النّحو العربيّ.

الظّاهرة الدّلاليّة في تراثنا النّحويّ:

علم الدّلالة هو علم حديث خلاصته الاهتمام بدراسة المعنى أو «الشّروط الواجب توافرها في الرّمز حتّى يكون قادرا على حمل المعنى»[2]. وليس من الصّواب الادّعاء بأنّه علم قديم قدم الدّراسات اللّغويّة – كما ذكرنا – رغم أنّ بعض مباحثه وأفكاره قد نوقشت قديما ولكن دون تمييزه عن بقيّة علوم اللّغة الأخرى «وبذلك نقول: إنّ معالجة قضايا الدّلالة بمفهوم العلم وبمناهج بحثه الخاصّة وعلى أيدي لغويّين متخصّصين إنّما تعدّ ثمرة من ثمرات الدّراسات اللّغويّة الحديثة وواحدة من أهمّ نتائجها، وقد ظهرت أوّليّات هذا العلم منذ أواسط القرن التّاسع عشر»[3].

فأمّا أنّه لم يكن علما قائما بذاته منذ القديم فذاك ممّا لا جدال فيه، وأمّا أنّ بعض مباحثه قد عولجت منذ زمن بعيد، فهذا الّذي عليه مدار حديثنا في هذا البحث.

إنّ من مبادئ العقل المعروفة ما يسمّي بالغائيّة الّتي تعدّ لازمة لكلّ سلوك يقوم به الإنسان، والقرآن الكريم أحقّ بالإرشاد إلى ذلك، حيث ومن خلال قوله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ المؤمنون: (115) وقوله: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ الذّاريات: (56)، وقوله أيضا: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**﴾ **لقمان** من الآية: (19) نُدرك أنّ وجود الإنسان في هذه الحياة إنّما هو لغاية

---

[1]– ومردّ ذلك لأمرين:

– شمول معظم المدوّنات النّحويّة القديمة لمسائل النّحو والصّرف على السّواء.

– استحالة فصل أحدهما عن الآخر، ومثال ذلك عدم إمكان معرفة إعراب نحو (ألوانه) في نحو قوله تعالى: {يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه} (النّحل، من الآية: 69) إذا جهل بأنّ (مختلف) اسم فاعل ويعمل عمل فعله.

[2]– علم الدّلالة، أحمد مختار عمر، السّابق، ص: 11.

[3]– م نفسه، ص: 22.

تواصليّة أسمى تشمل صلته بربّه، وصلته بالنّاس، وصلته بنفسه. ولعلّ ما في النّصّ الأوّل من الاستفهام الإنكاريّ، وما في الثّاني من الحصر، وما في الثّالث من الأمر الصّريح لكفيل بترسيخ مبدأ التّكامل بين السّلوك والغائيّة، فلا يُقدم على فعل أو قول إلّا لقصد محدود، وإلّا لصارت الحياة عبثا ولضاع التّواصل، واللّغة هي الأداة الأولى للتّواصل فهي الأصوات [الّتي] يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»[1]، أو هي الكلام الذي لولاه «لتعطّلت قوى الخواطر والأفكار من معانيها واستوت القضيّة في موجودها وفانيها ... ولوقع الحيّ الحسّاس في مرتبة الجماد، ولكان الإدراك كالّذي ينافيه من الأضداد، ولبقيت القلوب مقفلة... والمعاني مسجونة في مواضعها، ولصارت القرائح عن تصرّفها معقولة والأذهان عن سلطانها معزولة، ولما عُرف كفر من إيمان، وإساءة من إحسان، ولما ظهر فرق بين مدح وتزيين وذمّ وتهجين»[2]. فإن قيل: وما علاقة هذا بذاك؟ نقول في سياق الرّبط بين ما ذكرنا من وجوب المعانقة بين السّلوك والغائيّة، وبين ما نحن بصدد البحث فيه على المستوى الدّلاليّ النّحويّ للكلام: إنّه لابدّ – عند كلّ أداء لغويّ – من تضمين سابق أو كشف لاحق للمعاني المُتضمّنة في هذا الإنجاز، ولعلّ أولى المواضع بالبحث هي تلك الكامنة في درسنا النّحويّ، فمنطلقنا– إذن – هو هذه المدوّنة بما حوته من معالجة موزعة على مستوى الحروف والكلمات والتّراكيب، ولنبدأ بالمصطلح.

المصطلح والدّلالة:

قد يكون من أسباب فشل أكثر العمليّات التّعليميّة في الدّراسات اللّغويّة النّحويّة – خصوصا– هو انتهاج فكرة التّلقين المفتقر إلى البسط وتذليل الصّعب، ممّا يضرّ بعمليّة التّحصيل، وقد يُعدم عنصر الرّغبة في حضور درس النّحو، ثمّ إنّ الواقع ليشهد بأنّ كثيرين لا يفقهون كثيرا من المصطلحات النّحويّة الّتي يفترض أنّ استيعابها قد تمّ في

---

[1]– الخصائص، السّابق، ص: 44.

[2]– أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجانيّ، دار ابن الجوزيّ، القاهرة، 1431 ــ/2010م، ط: 01، ص: 03

مراحل أسبق بكثير كما الشّأن – مثلا– بالنّسبة للإعراب والبناء، ومسألة التّعدّي المباشر والتّعدّي بحرف الجرّ، أو التّفريق بين أنواع الاشتقاق وتجلّياته المعروفة، وغير ذلك.

إنّ العناية بالحدود لأمر ضروريّ جدّا بعدّه ممهّدا لفهم الكثير من المسائل «فالمصطلح في أيّ علم من العلوم آلة في أيدي متعاطيه تعين على تفهّم مسائله، وتحصيل مفاهيمه وتصوّراته»[1]. وفي مدوّنتنا كثير من المؤلّفات الّتي في هذا الباب ككتاب الحدود لأبي زكريّاء الفرّاء، ومثله لأبي عبيدة معمر بن المثنّى التّيميّ القرشيّ (ت 210هـ)، وآخر لأبي جعفر الضّرير (ت: 231هـ) وغيرها... إلى كتاب حدود النّحو لشهاب الدّين أحمد بن محمّد بن عبد الرّحمن بن عليّ البجائيّ الأبّذيّ المصريّ (ت 860هـ)، والّذي انتقيت منه نماذج تشهد بحضور الظّاهرة الدّلاليّة في تراثنا النّحويّ، فقد وردت بصيغة التّدليل المباشر مرارا كنحو ما في قول صاحبه «حدّ الكلمة: هو اللّفظ الدّالّ بالقوّة أو بالفعل على معنى مفرد»[2]، وقوله: «حدّ الاسم: كلّ كلمة دلّت على معنى في نفسها و لم تتعرّض بنيتها للزّمان»[3]، وقوله: «حدّ الفعل: كلّ كلمة دلّت على معنى في نفسها وتعرّضت بنيتها للزّمان»[4]

وقوله: «حدّ الحرف: كلّ كلمة لا تدلّ على معنى في نفسها لكن في غيرها»[5]، وقوله: «حدّ الاسم الظّاهر: ما دلّ بلفظه وحروفه على معناه»[6]، وقوله: «حدّ الاسم المضمر: ما دلّ على مسمّاه بقرينة التّكلّم كأنا، أو الخطاب كأنت، أو الغيبة كهو»[7]

---

[1]– حدود النّحو، شهاب الدّين، أحمد بن محمّد بن محمّد بن عبد الرّحمن بن عليّ البجائيّ الأبّذيّ المصريّ (ت: 860هـ)، تحقيق: خالد فهمي، مكتبة الآداب، القاهرة، 1428هـ/2007م، ط: 01، ص: 04.

[2]– حدود النّحو ... السّابق، ص: 51.

[3]– نفسه، ص: 55.

[4]– نفسه.

[5]– نفسه.

[6]– نفسه.

[7]– نفسه، ص: 56.

وقوله: «حدّ الأمر ما دلّ على الطّلب»[1]، وقوله: «حدّ المثنّى: هو الاسم الدّالّ على اثنين بزيادة في آخره، صالحا للتّجريد وعطف مثله عليه»[2]، وقوله: «المصدر: هو الاسم الدّالّ على حدث»[3].

وممّا يدخل في باب الحدود أيضا كلّ ما تعلّق بالكلمة وأقسامها وما ارتبط بكلّ قسم من أحكام وما تضمّن كلّ حكم من دلالات، ذلك لأنّ الكلمة في تراثنا النّحويّ أقسام ثلاثة «اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل»[4]، «فالاسم ما دلّ على معنى في نفسه، و لم يقترن بزمان: والفعل ما دّل على معنى في نفسه واقترن، والحرف ما دلّ على معنى في غيره»[5].

حروف المعاني (الدّلالة والعمل):

حروف المعاني هي كلّ «ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل... نحو ثمّ وسوف وواو القسم ولام الإضافة ونحوها»[6]، وعليه « فالحرف مشروط في إفادة معناه الّذي وضع له انضمامه إلى غيره من اسم كالباء في مررت بزيد، أو فعل كقد قام، أو جملة كحروف النّفي والاستفهام والشّرط»[7].

وحروف المعاني كثيرة ومختلفة سواء من حيث الطّبيعة أو العمل النّحويّ أو البعد الدّلاليّ، فضلا عن التّغيّرات السّياقيّة الّتي تفضي إلى مختلف الدّلالات ولو على مستوى ذات الحرف، وغالبا ما يقع التّداخل بين هذه الأمور فكان من الصّعب وضع خطّة

---

[1]- نفسه.

[2]- نفسه، ص: 70.

[3]- نفسه، ص: 85.

[4]- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت: 180هـ على الأرجح)، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، دار التّاريخ، بيروت، ج: 01، ص: 38.

[5]- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدّين السّيوطيّ (م: 911هـ)، شرح وتحقيق عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ج: 01، ص: 07.

[6]- الكتاب، السّابق، ص: 39.

[7]- همع الهوامع، السّابق.

محدّدة لدراستها فارتأينا أن نتناول منها جملة ممّا يكثر استعماله من النّماذج العاملة على وجه التّخصيص تعزيزا لفكرة التّعانق الدّلاليّ النّحويّ، والجدول الآتي للتّبيين:

الحرف	الفروع	الدّلالة	العمل	الشّاهد
الألف	إنْ	الجزاء[1]	جزم مضارعين	﴿**إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ**﴾التّوبة من الآية 50
	أنْ	الاستقبال[2]	نصب المضارع	﴿**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ** ﴾ البقرة من الآية 184
	إنّ أنّ	التّوكيد[3]	نصب الاسم ورفع الخبر	﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ**﴾ الرّعد من الآية: 06 ﴿**وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا**﴾ الحجّ من الآية: 07
	أم	الاستفهام[4]	الإتباع على العطف	﴿**قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ**﴾ البقرة من الآية 140

ـــ المراد بالجزاء في حرف "إن" هو جواب الشّرط .

أو	الاختيار[5]	الإتباع على العطف	﴿**فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ**﴾ المائدة من الآية 89

[1]- ينظر: المقتضب، السّابق، ج: 01، ص: 188.

[2]- ينظر: م نفسه، ص: 187، وقد ذكر لها معنى آخر وهو التّوكيد مخفّفة من (أنّ)في الصّفحة ذاتها.

[3]- ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، السّابق، ج: 01، من ص: 52 ← 55.

[4]- ينظر: المقتضب، نفسه، ج: 03، ص: 286.

[5]- ينظر: المقتضب، السّابق، ج: 01، ص: 148، وقد ذكر لها معنى آخر وهو الإباحة، في الصّفحة الموالية.

إلى	انتهاء الغاية[1]	الجرّ	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ الإسراء: 01
إلاّ	الاستثناء[2]	نصب المستثنى إتباعه على البدليّة حسب حاجة الجملة	﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ البقرة: 249 ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ النساء66 ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ آل عمران: 144
الباء المفردة	الاستعانة[3]	الجرّ	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ... ﴾ البقرة من الآية 153
بل	الإضراب[4]	الإتباع على العطف	إحفظ الدّرس بل استظهره

المراد بعبارة "حسب حاجة الجملة " حسب موقع ذلك اللّفظ من الإعراب.

التّاء	التّاء المفردة	القسم مع التّعجّب[5]	الجرّ	﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ الأنبياء: 57
الثّاء	ثمّ	التّشريك والتّرتيب والمهلة[6]	الإتباع على العطف	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ فاطر من الآية: 11

[1]- ينظر: مغني اللّبيب، السّابق، ص: 105، وقد ذكر لها ثمانية معان أخرى (في الصّفحات الموالية).

[2]- ينظر: م نفسه، ص: 99، وقد ذكر لها أربعة معان أخرى.

[3]- ينظر: م نفسه، ص: 140، وقد ذكر لها أربعة عشر معنى آخر(تراجع الصّفحات من 140 ← 145)

[4]- ينظر: م نفسه، ص: 153.

[5]- ينظر: المغني، السّابق، ص: 158، ولها معان أخرى ذكرها لاحقا.

[6]- ينظر: م نفسه، ص 161.

الحاء	حاشا	الاستثناء[1]	الجرّ	يقول الجميح الأسديّ: حاشا أبي ثوبان إنّ أبا ثوبان ...
	حتّى	الغاية[2]	نصب المضارع	﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ طه من الآية: 91
			جرّ الاسم	﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ القدر05
			الإتباع على العطف	أكلت السّمكة حتّى رأسها
الخاء	خلا	الاستثناء[3]	الجرّ	جاء الطّلّاب خلا طالب

ـــ المراد بالتّشريك الاشتراك في الحكم، والمهلة هي التّراخي.

ـــ "حاشا" و"خلا" قد تكونان حرفيّ جرّ ـــ كما في أمثلة الجدول ـــ فتطلبان اسما مجرورا، وقد تعتبران فعلين ـــ في سياق آخر ـــ فتطلبان فاعلا مستترا ومفعولا به بعده.

العين	عدا	الاستثناء[4]	الجرّ	فاز المتسابقون عدا محمّد
	على	الاستعلاء[5]	الجرّ	﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ المطفّفين: 23
	عن	التّجاوز[6]	الجرّ	﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ

[1]- ينظر: م نفسه، ص: 168 البيت الشّعريّ مذكور في كتاب: المستقصى في معاني الأدوات النّحويّة، مسعد زياد، الصّحوة، القاهرة، 1430هـ/ 2009م، ط: 01، ص: 113.

[2]- ينظر: المقتضب، السّابق، ج: 02، ص: 37.

[3]- ينظر: المغني، السّابق، ص: 182.

[4]- ينظر: المغني، السّابق، ص: 196.

[5]- ينظر: م نفسه، وقد ذكر لها تسعة معان أخرى (من ص: 196 ← 199)

[6]- ينظر: م نفسه، ص: 202، وقد ذكر لها عشرة معان أخرى (من ص: 202 ← 204).

				﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الماعون: 5-4
الفاء	الفاء المفردة	التّرتيب والتّعقيب[1]	الإتباع على العطف	﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ القصص من الآية: 15
	في	الظّرفيّة[2]	الجرّ	﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ طه، من الآية: 102
الكاف	الكاف المفردة كأنّ	التّشبيه[3] التّشبيه[4]	الجرّ نصب الاسم ورفع الخبر	﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ الرّحمن من الآية: 37 ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ الحآقّة: 07

اللّام	اللّام المفردة	الاختصاص[5]	الجرّ	﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يوسف: 78
	لم	النّفي مع احتمال الاتّصال أو الانقطاع[6]	الجزم	﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ مريم: 04 ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ الإنسان: 01

[1]- ينظر: م نفسه، ص: 221، وقد ذكر لها معاني أخرى في الصّفحات الموالية.

[2]- ينظر: م نفسه، ص: 231، وقد ذكر لها عشرة أخرى (من ص: 231 ← 233).

[3]- ينظر: م نفسه، ص: 243، وقد ذكر لها خمسة أخرى (من ص: 243 ← 247).

[4]- ينظر: م نفسه، ص: 264، وقد ذكر لها ثلاثة أخرى (ص: 265 و266)

[5]- ينظر: المغني، السّابق، ص 287، وقد ذكر لها اثنين وعشرين معنى آخر (287 ← 306).

[6]- ينظر: م نفسه، ص: 375.

	لّما	النّفي إلى حال التّكلّم[1]	الجزم	﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ الحجرات: 14
	لن	نفي الاستقبال[2]	نصب المضارع	﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ القصص: 17
	ليت	التّمنّي[3]	نصب الاسم ورفع الخبر	﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ القصص، من الآية: 79
	لعلّ	التّوقّع[4]	نصب الاسم ورفع الخبر	﴿...لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ غافر من الآية: 36
	لكنّ	الاستدراك[5]	نصب الاسم ورفع الخبر	﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ الحجّ، من الآية: 02
الميم	من ← ↙	ابتداء الغاية[6] التّبعيض	الجرّ	﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ النّمل: 30 ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ البقرة: 253

[1]- ينظر: م نفسه، ص: 376.

[2]- ينظر: م نفسه، ص: 381.

[3]- ينظر: م نفسه، ص: 384.

[4]- ينظر: م نفسه، ص: 387، وقد ذكر لها معاني أخرى كالتّعليل والاستفهام (تراجع الصّفحة ذاتها).

[5]- ينظر: م نفسه، ص: 391، وقد ذكر لها معاني أخرى في الصّفحة ذاتها.

[6]- ينظر: م نفسه، ص: 428، وقد ذكر لها خمسة عشر معنى آخر (من ص: 428 ← 433).

ـــ المراد بـــ "النّفي مع الاتّصال" حسب الآية القرآنيّة الكريمة "الأولى" هو أنّ عدم الشّقاء بالدّعاء كان ويكون ولا ينقطع أبدا، وأمّا "النّفي مع الانقطاع" حسب الآية القرآنيّة "الثّانية" فهو أنّ الإنسان لم يكن مذكورا ولكنّه صار مذكورا.

ـــ أمّا النّفي إلى حال التّكلّم فمعناه أنّ انقطاع النّفي مشروط بوقت التّكلّم، لا قبله ولا بعده.

هذه إذن بعض معاني بعض الحروف (العاملة)، فماذا عن بقيّة الحروف (غير العاملة)؟ ثمّ ماذا لو حاولنا إحصاء جميع ما ذكر من المعاني لكلّ حرف عاملا كان أو غير عامل؟

إنّ عمليّة حسابيّة بسيطة لمجموع المعاني الّتي ذكرنا ـــ من المقتضب ومن المغني ـــ أثبتت أنّها تجاوزت المائة وأربعة عشر معنى لثلاثين حرفا فقط، كلّ هذا لا يقابله من الحالات الإعرابيّة إلّا أربع حالات (فقط).

ممّا يستخلص من هذا أنّ العناية بالجانب الدّلاليّ للحروف كان أوسع بكثير ممّا يعرف بالعمل النّحويّ المتجلّي فيما ذكرنا من الحالات، كما أنّه كان ولا يزال أسبق في الذّهن من النّظر إلى ذلك العمل، ذلك لأنّه- مثلا-لا يُنصب بـــ (لا) النّافيّة اسمها ويرفع خبرها إلّا إذا سبق في الذّهن أنّ المراد نفي الجنس، ولا يفعل ضدّه إلّا لنفي الوحدة، كما أنّه لا ينصب الاسم ويرفع الخبر بأحد الأحرف المشبّهة بالفعل إلّا ما اتّفق منها والمعنى المراد، وأنّه لا يجزم بلام الأمر إنْ أريد مجرّد نفي الخبر، كما لا يجرّ الاسم بأحد حروف الجرّ إلّا بعد استبانة المعنى المقصود وهكذا ... حتّى مع حروف العطف، فليس لك أن تعبّر عن مطلق الجمع بـــ (الفاء)، ولاعن ترتيب التّراخي بـــ (بل)، وغير ذلك إلّا ما كان من قبيل الشّذوذ، أو الضّرورة الشّعريّة، أو من قبيل الانزياح لغرض غير الظّاهر، فذلك ممّا يفصل فيه سياق الحال وقرينة العقل ومعرفة مختلف الملابسات كنحو ما جاء في قوله تعالى ﴿**وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا**﴾ الإنسان: 24 لأنّ (أو) هنا جاءت بمعنى (الواو)[1] لأنّ كليهما منهيّ عن طاعته.

[1]- ينظر: المقتضب، السّابق، ج: 01، ص: 149.

ومن الملاحظات أيضا أنْ قد يتّفق حرفان أو أكثر في العمل ويختلفان في الدّلالة أو يتّفقان في الدّلالة ويختلفان في العمل. فمن الأوّل ما بين (لم، لمّا، لام الأمر، لام النّهي)، وما بين (أن، لن، إذن، حتّى، لام التّعليل، لام الجحود)، وكذلك ما بين حروف العطف الّتي تلزم إتباع ما بعدها لما قبلها في الحكم الإعرابيّ[1] رغم الفروق الدّلاليّة بين كلّ حرف وآخر. ومن الثّاني ما بين (لم، لن، ما، لا) وكذا ما بين (إلّا، حاشا).

كما أنّك قد تجد للحرف الواحد دلالة واحدة لكن بعملين مختلفين، أو عملا واحدا بدلالتين مختلفتين، فمن الأوّل ما نجده مثلا مع (لام التّعليل) فقد تنصب وقد تجرّ في نحو (جئت لأتعلّم) و(جئت للتّعلّم)، وكذلك مع (حتّى الغاية) الّتي قد تنصب المضارع وقد تجرّ الاسم وقد تتبع اللّاحق السّابق في نحو (أجتهد حتّى أنجح) و(ذهبت حتّى الصّين) و(جاء محمّد ويزيد وعامر حتّى خالد). ومن الثّاني ما نجده- مثلا – مع (من) المفيد ابتداء الغاية في (جئت من العاصمة) وفي (نجح من الطّلبة عشرون) التّبعيض.

وأخيرا فممّا يثبت فكرة حضور الظّاهرة الدّلاليّة في درسنا النّحويّ العربيّ (مستوى الحروف) ما حظيت به هذه الأخيرة من معالجة دقيقة متجلّية في تقصيّ مختلف معانيها الكثيرة والمتشعّبة[2]، سواء ما كان منها عاملا كنحو ما ذكرنا أو غير عامل كهمزة الاستفهام، و(هل) و(إنْ) النّافية و(السّين)، و(سوف)، و(قد) وغيرها، أضف إلى ذلك بعض الحروف العاملة والّتي يمكن عدّها زائدة من النّاحية الإعرابيّة دون المعنى لأنّه مطلوب في الكلام في مواقعه وسياقاته، ومثاله (ربّ) الّتي(محلّ مجرورها في نحو «ربّ رجل صالح عندي» رفع على الابتداء، وفي نحو «ربّ رجل صالح لقيت» نصب على المفعوليّة، وفي نحو «ربّ رجل صالح لقيته» رفع أو نصب)[3] ، فأمّا الرّفع فعلى الابتداء، وأمّا النّصب فعلى المفعوليّة بفعل محذوف يفسّره ما بعده للاشتغال.

---

[1]- ينظر: م نفسه، ص: 150.

[2]- لعلّ ما في (المقتضب والمغني) ما يغني السّائل في هذا الباب

[3]- مغني اللّبيب، السّابق، ص: 187.

الصّيغ الإفراديّة (الثّابت الإجرائيّ والمتغيّر الدّلاليّ):

المراد بالصّيغ الإفراديّة المفرد من الأسماء ومن الأفعال، ولكلّ فروعه ولكلّ فرع دلالته وبعض انزياحاتها أيضا، والمتصفّح لمدوّنتنا النّحويّة يجد لذلك كثيرا من النّماذج والشّواهد.

فممّا ورد من الإشارات الدّلاليّة المتعلّقة – مثلا– بالاسم الجامد الدّالّ على المعنى– وهو المصدر أو اسمه– أنّه الاسم الدّالّ على مجرّد الحدث[1]، ومعناه التّجرّد من التّعيين الزّمني والتّعيين الاشتقاقي[2]، ولهذه المصادر أوزان، ولكلّ وزن دلالته الغالبة، ففعالة للدّلالة على الولاية أو الحرفة نحو: ولاية– إمارة – خلافة– خياطة– تجارة– قصابة، وفعال للامتناع نحو: إباء– نفار– جماح– إباق، وفعلان للتّقلّب نحو: غليان– جولان–غثيان– لمعان– لهبان– وهجان، وفعال للدّاء نحو: مشى بطنه مُشاء، وزكام، عطاس، وفعيل للسّير نحو: رحيل — مسير– ذميل–، وفعال وفعيل للصّوت نحو: عواء — صراخ– صهيل– نهيق– زئير[3].

وقد ذكروا أيضا كلاما عن المصدر الدّالّ على المرّة والمصدر الدّالّ على الهيئة وكيفيّة التّوصّل إلى كلّ منهما من الثّلاثيّ ومن غيره، فقالوا في اسم المرّة إنّه من الثّلاثيّ على صيغة (فعلة) نحو: جلس جلسة أو بزيادة (واحدة) إنْ كان بناء المصدر الأصليّ مختوما بالتّاء نحو: رحمه رحمة واحدة، ومن غير الثّلاثيّ بزيادة (تاء) في آخر مصدره، فإن ختم بها فبزيادة (واحدة) كالانطلاقة، والإقامة الواحدة. أمّا اسم الهيئة فقالوا بأنّه من

---

[1]– أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، أبو محمّد عبد الله جمال الدّين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاريّ (م: 761هـ)، ومعه كتاب: عدة السّالك إلى تحقيق أوضح المسالك لمحمّد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، ج: 03، ص: 200، واللّفظ المعبّر به هو نفسه الذي استخدمه سيبويه للتّعبير عن المصادر (بالأحداث) في كتابه، ج: 01، ص: 38

[2]– ينظر: الدّلالة الإيحائيّة في الصّيغة الإفراديّة، صفيّة مطهري، منشورات: اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2003م، ص: 150.

[3]– ينظر: الكتاب، السّابق، ج: 04، من ص: 07 ← 11. ينظر كذلك: أوضح المسالك، السّابق، ح: 03، ص: 236–237.

الثّلاثيّ على صيغة (فعلة) كجلسة وقتلة، فإن ختم المصدر الأصليّ بالتّاء دلّ على الهيئة بوصف المصدر كنشد ضالّته نشدة عظيمة، أمّا من غير الثّلاثيّ فلا يبنى اسم الهيئة إلّا ما كان شاذّا كنحو: اختمرت خمرة: وتقمّص قمصة[1]، وهي كلها ـــ لملاحظها ـــ إجراءات ثابتة موجّهها وغرضها دلاليّ محض.

وممّا ورد كذلك من كلام عن الإشارات الدّلاليّة المتعلّقة بالأسماء (المشتقّات) أمور مختلفة باختلاف نوع المشتقّ كاسم الفاعل- مثلا- وأنّه اسم يؤتى به للدّلالة على الحدث والحدوث والفاعل[2]، وكاسم المفعول للدّلالة على الحدث ومفعوله[3]، وكاسم التّفضيل للدّلالة على اشتراك طرفين في معنى مع زيادة أحدهما على الآخر[4]، وغيره كثير. كما حظي درس النّكرة والمعرفة عند النّحاة أيضا بالوافر من تلك الإشارات كنحو قولهم عن النّكرة بأنّها تدلّ في عمومها على

التّعميم[5]، أي «عمّا شاع في جنس موجود أو مقدّر»[6] نحو: "رجل ـــ شمس" بل ولها دلالات فرعيّة أخرى يحدّدها السّياق، كالتّعظيم، والتّحقير والتّكثير والبعضيّة، وما إلى ذلك. أمّا ما تعلّق بالمعارف فقد قالوا عن العلم بأنّ منه ما هو «مرتجل وهو ما استعمل من أوّل الأمر علما أي (للدّلالة على علم ما) كأدد لرجل وسعاد لامرأة، ومنقول – وهو الغالب- وهو ما استعمل قبل العلميّة لغيرها، ونقله إمّا من اسم إمّا لحدث كزيد وفضل، أو لعين كأسد وثور، وإمّا من وصف إمّا لفاعل كحارث ... أو

---

[1]- ينظر: أوضح المسالك ...م، نفسه، ص 241-242

[2]- ينظر: م نفسه، ص: 216.

[3]- ينظر: م نفسه، ص: 232.

[4]- ينظر: المعجم المفصّل في علم الصّرف، إعداد: راجي الأسمر، مراجعة: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م، ص: 148

[5]- ينظر: التّعريف والتّنكير- بين الدّلالة والشّكل -، محمود أحمد نخلة، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، مطبعة العمرانيّة للأونست، 1999، ص: 194.

[6]- أوضح المسالك ...، السّابق، ج: 01، ص: 82 (الهامش).

لمفعول كمنصور ومحّمد، وإمّا من فعل إمّا ماض كشّمر أو مضارع كيشكر، وإمّا من جملة ... فعليّة كشاب قرناها»[1] ... وغير ذلك.

وممّا يتعلّق بالأسماء المعارف اسم الإشارة فذكروا بأنّ منه ما هو للدّلالة على القريب ومنه ما هو للبعيد، نحو: (ذا) (ذلك) (هنا ههنا) (هناك، هنالك)[2]، وتحدّثوا عن الموصول فذكروا بأنّ (مَن) للعاقل و(ما) لغير العاقل، وهو أمر دلاليّ محض مثّلوا له بقوله تعالى: ﴿**ومن عنده علم الكتاب**﴾ الرّعد من الآية: 43، وقوله ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ**﴾ النّحل من الآية: 96[3].

أضف إليه ما ذ كروا عن الاسم المعرّف بـــ (الـــ) وأنه للدّلالة على أحد أمرين: الجنس وهو إمّا:

- لبيان الحقيقة نحو: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ الأنبياء من الآية: 30
- أو لشمول أفراد الجنس نحو: ﴿**وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾ النّساء من الآية: 28

العهد وهو إمّا:

- ذكريّ، نحو: ﴿**فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ**﴾ المزّمّل من الآية: 16
- أو علميّ، نحو: ﴿**بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ**﴾ طه من الآية: 12
- أو حضوريّ، نحو: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ المائدة من الآية: 03[4]

ولئن كان ما ذكرنا هو بعض ما حظي به الاسم المفرد من التّجلّيات الدّلاليّة فإنّ الفعل أيضا قد حظي بنصيب لا يستهان به من تلك التّجلّيات، فممّا ورد عن الفعل المجرّد والفعل المزيد–مثلا– نماذج كثيرة نقتطف لك بعضا ممّا نوجزه في الجدولين الآتيين:

– أ– الفعل المجرّد

- ولنختر منه الثّلاثيّ: (فَعل) و(فَعُل)[1]

---

[1]– نفسه، ص: 123–124.

[2]– ينظر: م نفسه، ص: 136–137.

[3]– ينظر: م نفسه، ص: 147و150.

[4]– ينظر: أوضح المسالك، السّابق، ص: 179.

الوزن	الدّلالات	الأمثلة
فعل	العلل الأحزان الأفراح الألوان العيوب	مرض- كسل حزن-يئس فرح –سعد صفر- سود حول-خور
فعل	الطّبائع والصّفات النّظافة الدّنس	جبن- شجع طهر- نظف نجس – قذر

ب- الفعل المزيد

ولنختر منه الآتي: (أفعل-فعّل-فاعل-تفاعل-تفعّل-انفعل-افتعل-استفعل-تفعلل)

الوزن	الدّلالة	المثال	الوزن	الدّلالة	المثال
أفعل	التّعدية	أقعد-أجلس[2]	انفعل	المطاوعة	انكسر من (كسر)
فعّل	التّكثير النّسبة	غلّق-قطّع-كسّر[3] جهّل- فسّق	افتعل	المطاوعة	شويته فاشتوى غممته فاغتمّ[4]

[1]- ينظر: م نفسه، ج: 02، ص: 177.

[2]- ينظر: الكتاب، السّابق، ج: 04، ص: 44-45.

[3]- ينظر، م نفسه، ص: 45-46 ينظر كذلك: الخصائص، السّابق، ج: 01، ص: 197.

[4]- ينظر: الكتاب، السّابق، ص: 47. ينظر كذلك: المقتضب، السّابق، ج: 02، ص: 102.

فاعل	بين اثنين فصاعدا (المشاركة)	ضارب — شاتم[1]	استفعل	للصّيرورة التّكلّف الطّلب	استنوق الجمل- صار ضعيفا، استنسر البغاث أي: صار قويّا[2] استعظم، أي: تعظّم استسقى[3]

ـــ المراد بالتّكثير المبالغة، وأمّا المطاوعة فهي الاستجابة الطّوعيّة أو النّتيجة الطّبيعيّة للفعل.

ـــ بالنسبة لصيغة "فاعل" قد لا تفيد المشاركة كنحو ما جاء في الحديث القدسيّ "....فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل إنّي امرؤ صائم..." ففيه دلالة على عدم الرّدّ، أو على الأقلّ إمكان عدم الرّد. والحديث من صحيح البخاري ـــ كتاب الصوم ـــ باب هل يقول إني صائم إذا شتم ...

ـــ أمّا الطّلب في "استسقى" فلأنّ معناه طلب السّقيا.

تفاعل	المطاوعة ← المشاركة ←	تناول من ناول[5] تناظرا تحاكما[1]	تفعلل	المطاوعة	دحرجته فتدحرج[4]

[1]- ينظر: الخصائص، السّابق، ص: 197.

[2]- ينظر: م نفسه، ص: 321 وص: 341.

[3]- ينظر: الخصائص، السّابق، ج: 02، ص: 101-102. ينظر كذلك: فقه اللّغة وسرّ العربيّة، السّابق، ص 341

[4]- ينظر: الخصائص، السّابق.

[5]- ينظر: م نفسه، ص: 47. ينظر كذلك: المقتضب، السّابق، ص: 101 وص: 103.

	التّظاهر ←	تمارض-تغافل[2]			
		كسّرته فتكسّر			
	المطاوعة ←	عشّيته-			
		فتعشّى[3]			
		تشجّع- تجلّد[4]			
تفعّل	التّكلّف ←				

الحقيقة أنّ ما ذكرنا إنّما هو عيّنة للدّلالات الإيحائيّة في صيغ المزيد من الأفعال، ذلك لأنّ صيغة

(أفعل) مثلا وبالإضافة إلى ما سبق فهي تفيد معاني أخرى كالدّلالة على البلوغ في نحو: أحصد

الزّرع وأركب المهر[5]، والدّلالة على السّلب في نحو: أشكيت فلانا أي: أزلت شكواه، وأعجم اللّفظ أي: أزال عجمته[6]، بالإضافة إلى معنى الكثرة في: أشجر المكان[7]، ومعنى الوصول إلى العدد[8] في نحو: أخمس العدد. أمّا صيغة (فاعل) فتفيد أيضا معنى أفعل (أي: التّعدية) في نحو: ناولته وعاقبته[9]، والموالاة في: تابع ووالى[1]، وأمّا (افتعل) فتفيد

---

[1]- ينظر: فقه اللّغة وسرّ العربيّة، السّابق، ص: 341.

[2]- ينظر: المقتضب، السّابق، ص: 103.

[3]- ينظر: الكتاب، السّابق، ص: 50.

[4]- ينظر: الكتاب، السّابق، ج: 04، ص: 48. ينظر كذلك: المقتضب: ج02، ص: 101 وص: 106

[5]- ينظر: الكتاب، السّابق، ص: 39 وص: 43.ينظر كذلك: الخصائص، السّابق، ج: 01، ص: 197.

[6]- ينظر: م نفسه، ج: 03، ص: 53.

[7]- ينظر: المعجم المفصّل في علم الصّرف، السّابق، ص: 316.

[8]- ينظر: م نفسه.

[9]- ينظر: الكتاب، نفسه، ج: 04، ص: 49.

أيضا الاشتراك في نحو: اختلف واقتتل[2]، والمبالغة (وهو ما عبّر عنه سيبويه بالخطف) فـــي نحو: انتزع واقتلع واجتذب[3]، وأمّا (تفعّل) فتفيد أيضا التّجنّب (وهو التّرك) في نحو: تحرّج (أي: ترك الحرج)، وتأثّم (أي: ترك الإثم)[4]، كما تفيد المهلة (أي: التّدريج) في: تجرّع وتفوّق وتخيّر وتعمّق[5]، وغيرها...

أضف إلى ذلك من صيغ المزيد الّتي لم نذكرها صيغة (افعلّ)، وهي للدّلالة على الألوان والعيوب في نحو: اصفرّ واحمرّ واحولّ واعرجّ[6]، أمّا (افعالّ) و(افعوعل) فكلاهما يدلّ على الزّيادة في الشّيء والمبالغة والتّوكيد ومثاله: اعشوشب واخشوشن، واحمارّ واصفارّ واعراجّ واحوالّ[7]، وأمّا (افعنلل) فتفيد المطاوعة في نحو: حرجمت الأبقار فاحرنجمت[8].

وممّا ذكره ابن هشام أيضا عن الفعل اللّازم أنّه« يدلّ على سجيّة – وهي: ما ليس حركة جسم – من وصف ملازم نحو: جبن، وشجع، أو على عرض– وهو: ما ليس حركة جسم من وصف غير ثابت كمرض وكسل وهم إذا شبع، أو على نظافة كنظف وطهر ووضؤ، أو على دنس نحو نجس وقذر، أو على مطاوعة فاعله لفاعل فعل متعدّ لواحد نحو كسرته فانكسر ومددته فامتدّ، فلو طاوع ما يتعدّى فعله لاثنين تعدّى لواحد كعلّمته الحساب فتعلّمه»[9].

---

[1]– ينظر: المعجم المفصّل في علم الصّرف، نفسه، ص: 316.

[2]– ينظر: المعجم المفصّل...، السّابق، ص: 317.

[3]– ينظر: الكتاب، السّابق، ص: 54.

[4]– ينظر: المعجم المفصّل ... السّابق، ص: 318.

[5]– ينظر: الكتاب، السّابق، ص: 53.

[6]– ينظر: المعجم المفصّل ... السّابق، ص: 318.

[7]– ينظر: الكتاب، السّابق، ص: 55.ينظر كذلك: الخصائص، السّابق، ج: 02، 103، وج: 03، ص: 188-189.

[8]– ينظر: المعجم المفصّل ... السّابق، ص: 321.

[9]– أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، السّابق ج: 02، ص: 177.

كما ورد في المدوّنة النّحويّة العربيّة أيضا كلام كثير عن أبنية الفعل ودلالاتها الزّمانيّة، نختار منها ما ذكره سيبويه حينما بيّن بأنّ الفعل إنّما هو «أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع»[1]، وهو نفسه ما عبّر عنه المبرّد بالماضي والموجود والمنتظر[2]، أي ما دلّ على الماضي والحاضر والمستقبل على حدّ تعبير ابن السّرّاج الّذي ضرب لذلك مثالا بقوله: « فالماضي كقولك: صلّى زيد يدلّ على أنّ الصّلاة كانت فيما مضى من الزّمان، والحاضر نحو قولك: يصلّي يدلّ على الصّلاة وعلى الوقت الحاضر، والمستقبل نحو: سيصلّي يدلّ على الصّلاة وعلى ذلك يكون فيما يستقبل»[3]، أمّا ابن جنّي فقد أفرد – في خصائصه– بابا تحدّث فيه عن دلالات الفعل اللّفظيّة والصّناعيّة والمعنويّة حيث بيّن بأنّه يدلّ بلفظه على مصدره، وبصناعته على زمانه، وبمعناه على فاعله «ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه»[4]. فإذا كان هذا مع لفظ (قام) فكيف الأمر مع غيره من الألفاظ باختلاف أبنيتها وتعدّد معانيها وتنوّع سياقاتها؟

إنّ واقع الدّرس النّحويّ العربيّ ليفرض على دارسه أن يستكشف كلّ ما ذكرنا من الظّواهر الدّلاليّة المتواجدة فيه بمختلف موضوعاته ومسائله، كما أنّه لم يقف عند حدّ الحديث عن تلك الإشارات الدّلاليّة العامّة بل تعدّاها إلى الحديث عن

ظاهرة الانزياح الدّلاليّ: ولنا في ذلك كثير النّماذج بشواهدها، نقتصر من خلال الجداول الآتية على بعض ما يتعلّق – منها– بحروف المعاني من حيث انزياح معانيها إلى غير دلالتها الأصليّة. وكذلك الأسماء المفردة من حيث دلالة جامدها على مشتقّها

---

[1]– الكتاب، السّابق، ج: 01، ص: 12.

[2]– ينظر: المقتضب، السّابق، ج: 03، ص: 214.

[3]– الأصول في النّحو، أبو بكر محمّد بن سهيل بن السّرّاج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، 1985م، ط: 01، ج: 01، ص: 41.

[4]– الخصائص، السّابق، ج: 03، ص: 69.

والعكس، أومن حيث دلالة ظاهر عددها على غيره. ثمّ الأفعال من حيث انزياح دلالاتها الزّمانيّة إلى غير دلالات أبنيتها الأصليّة، أو من حيث مخالفة جنسها لجنس الاسم الّذي أسندت إليه.

❶ حروف المعاني[1]

الحرف	الانزياح	الشّاهد
إلى	قد تأتي بمعنى "بل"	﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ الطور: 30 أي: بل يقولون
أو	قد تأتي بمعنى واو العطف قد تأتي بمعنى "بل"	﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ الإنسان: 24 أي: وكفورا ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أي: بل يزيدون، الصّافّات: 147
أنّ	قد تأتي بمعنى "لعلّ"	﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لعلّها. الأنعام: 109
إنْ	قد تأتي بمعنى (إذ) قد تأتي بمعنى (لقد)	﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إذ كنتم مومنين آل العمران: 139 ﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ يونس: 29 أي: لقد كنّا...
أم	قد تأتي بمعنى (مع)	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ النساء: 02 أي: مع أموالهم

إلاّ	قد تأتي بمعنى (لكنْ)	﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾

[1]- يراجع: كتاب(فقه اللّغة وسرّ العربيّة)، السّابق، من ص: 328 ← ص: 333.

		الغاشية 22-23، أي: لكن من تولّى
بل	قد تأتي بمعنى (إنّ)	﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ ص: 1-2 أي: إنّ الّذين كفروا....
ثمّ	قد تأتي بمعنى واو العطف	﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ يونس: 46 أي: والله شهيد ...
لو	قد تأتي بمعنى (إنْ)	﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ التّوبة: 33 أي: وإن كره المشركون
في	قد تأتي بمعنى (على)	﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ طه: 71 أي: على جذوع النّخل
من	قد تأتي بمعنى (على)	﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الأنبياء: 77. أي: على القوم...

❷ الأسمـــــــــاء[1]

الفرع	الانزياح	الشّاهد
المصدر	قد يأتي للدّلالة على اسم الفاعل	تقول العرب: رجل عدل، والمراد (عادل). وتقول: بنو فلان لنا سلم. أي: مسالمونِ، وحرب أي: محاربون.
اسم الفاعل	قد يأتي للدّلالة على اسم المفعول	قال الله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ هود: من الآية: 43. وقال: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ الحآقّة: من الآية: 21، والمراد في الأوّل: معصوم، وفي الثّاني:

[1]- يراجع: كتاب فقه اللّغة وسرّ العربيّة السّابق، من ص: 299 ← 303.

		مرضيّة. وتقول العرب: سرّ كاتم أي: مكتوم، ومكان عامر أي: معمور.
اسم المفعول	قد يأتي للدّلالة على اسم الفاعل	قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا**﴾ مريم من الآية: 61 والمراد آتيا، وقال: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**﴾ الإسراء: 45، والمراد ساترا.
الاسم الدّالّ على المفرد	قد يأتي للدّلالة على الجمع	قال الله تعالى ﴿**فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا**﴾ النساء: من الآية: 04 أي: نفوسا. وقال ﴿**ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا**﴾ غافر، من الآية: 67، أي: أطفالا. و العرب تقول: قررنا به عينا أي: أعينا.
المثنّى	قد يأتي للدّلالة على المفرد	قال تعالى ﴿**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾ ق: 24، والخطاب لمالك خازن النّار.
الجمع	قد يأتي للدّلالة على المفرد	قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ**﴾ التّوبة من الآية: 17، وقال: ﴿**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا**﴾ البقرة: من الآية: 72، والمراد في الأوّل: المسجد الحرام. وفي الثانّي: كان القاتل واحدا.
اسم التّفضيل	قد يأتي بمعنى اسم الفاعل أو بمعنى الصّفة المشبّهة	قال تعالى ﴿**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ**﴾ الإسراء: 54 أي: عالم بكم، وقال أيضا ﴿**وَهُوَ الَّذِي****

		﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الرّوم: 27[1]

❸الأفعـــــــــال[2]

الفرع	الانزياح	الشّاهد
الماضي	قد يأتي للدّلالة على المستقبل	قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ النّحل من الآية: 01.
المضارع	قد يأتي للدّلالة على الماضي	قال الله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ البقرة: 91 وقال ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ...﴾ البقرة من الآية: 102
المذكّر	للدّلالة على المؤنّث	قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ يوسف، من الآية: 30.
المؤنّث	للدّلالة على المذكّر	وقال: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ الحجرات من الآية: 14.

من ظواهر التّراكيب الإسناديّة:

يقصد بالتّراكيب الإسناديّة (المسند والمسند إليه) وهما معا إمّا الاسم المبتدأ والمبنيّ عليه وهو الخبر، أو الفعل وما يلزمه وهو الاسم[3]، وهو ما يعرف بالجمل الاسميّة والجمل الفعليّة. والمعروف أنّ الجملة الاسميّة قد تكون منسوخة إمّا بالحرف (وقد سبق الكلام عن ذلك عند الحديث عن حروف المعاني)، وإمّا بالفعل النّاقص. وهذه الأفعال متعدّدة، ولكلّ دلالته وقد تتعدّد، وقد تتراح، فلا يتحدّد المعنى إلّا في سياق ما. ومعروف أنّ الجملة الفعليّة لها كذلك أنماطها الّتي تحدّدها طبيعة الفعل إن كان مبنيّا للمعلوم أو للمجهول، أو إن كان لازما أو متعدّيا لمفعول أو لمفعولين أو لثلاثة.

كما أنّ الأصل في كلّ ذلك أن تذكر كلّ العناصر وبالتّرتيب الأصليّ المعروف، لكن ولأغراض يتطلّبها المقام قد تعتريها بعض عوارض قد أشار إليها سيبويه في كتابه في

---

[1]- ينظر: المعجم المفصّل في علم الصّرف، السّابق، ص: 150.

[2]- يراجع: كتاب (فقه اللّغة ...) السّابق، ص: 301.

[3]- الكتاب، السّابق، ج: 01، ص: 47 وما بعدها.

باب ما يكون في اللّفظ من الأعراض من خلال حديثه مثلا عن الحذف الّذي عبّر عنه بالسّقوط[1]، وحديثه عن عارض التّقديم والتّأخير[2].

أمّا ابن جنّي فقد أفاض الحديث في ذلك بل وأورد- في خصائصه- بابا سمّاه «شجاعة العربيّة»[3] وآخر سمّاه «نقص المراتب إذا عرض هناك عارض»[4]، تحدّث فيهما عن جملة من تلك العوارض سنقتصر منها على النّموذجين المذكورين بعدّهما الأكثر ورودا في الكلام ودورانا في الحديث، فكثيرا ما يتردّد على مسامعنا أنّ تقديم بعض الكلام على بعض إنّما هو لأهمّيّة المقدّم والعناية به، وأنّ الحذف إنّما هو للإيجاز الّذي يعدّ من أخصّ مزايا كلام العرب، فكنّا نجد لهذا المجمل تفصيلا تارة ونعدمه أخرى، ومثاله ما أشار إليه سيبويه فيما يتعلّق بفوائد التّقديـــم والتّأخير من «أنّهم يقدّمون الّذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعا يهمّانهم ويعنيانهم»[5]. وعلى العموم فقد سارت الأمور- في أغلبها - على هذا النّحو إلى أن ظهر الجرجانيّ بدلائله الّذي خصّ فيه الظّاهرتين المذكورتين بل وغيرهما بفيض من الحديث عن الإشارات الدّلاليّة .

ظاهرة التّقديم والتّأخير: ونقصد به تقديم بعض عناصر التّركيب الإسناديّ على بعض، وهذه بعض النّماذج:

العارض	الدّلالة	الشّاهد
تقديم المسند إليه (المبتدأ) على المسند (الخبر) وهو ما	الحكم بالمسند (الخبر) على المسند إليه (المبتدإ) سواء	زيد منطلق ↓ ↓

[1]- م نفسه، ص: 48 وما بعدها.

[2]- م نفسه، ص: 91 وما بعدها

[3]- الخصائص، السّابق، ج: 02، ص: 243.

[4]- م نفسه، ج: 01، ص: 253.

[5]- الكتاب، السّابق، ج: 01، ص: 56

سمّاه الجرجانيّ بالتّقديم على نيّة التّأخير[1] أي: إنّ الأمر سيّان	تقدّم أو تأخّر	مبتدأ خبر منطلق زيد ↓ ↓ خبر مبتدأ
تقديم المبتدإ على الخبر أو تأخيره عنه إذا كانا معرفتين وهو ما سمّاه الجرجانيّ بالتّقديم لا على نيّة التّأخير[2]	انتقال الشّيء عن حكم إلى حكم[3] أي: إنّ المقدّم هو المحكوم عليه وليس العكس	زيد المنطلق ↓ ↓ مبتدأ خبر المنطلق زيد ↓ ↓ مبتدأ خبر
تقديم الفاعل على المفعول به	العناية بالفاعل والجدوى من معرفة حدوث الفعل منه لا عمّن وقع الفعل	قتل زيد رجلا. وذلك لاستبعاد وقوع القتل منه[4]
تقديم المفعول به على الفاعل	الدّلالة على أهمّيّة المفعول والجدوى من معرفة حدوث الفعل به لا ممّن حدث الفعل	قتل الخارجيّ زيد. وذلك لتطلّع الجميع أن يقتل هذا الخارجيّ المفسد مهما كان القاتل[5]

[1]- ينظر: دلائل الإعجاز، السّابق، ص: 117.

[2]- ينظر: م نفسه، ص: 117-118.

[3]- ينظر: م نفسه، ص: 118.

[4]- ينظر: م نفسه، ص: 119.

[5]- ينظر: م نفسه، ص: 118- 119

وممّا ذكروا أيضا أنّه متى حصر المبتدأ في الخبر قدّم المبتدأ وجوبا[1]، ومتى حصر الخبر في المبتدإ قدّم الخبر وجوبا[2]، فمثال الأوّل قوله تعالى ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ**﴾ آل عمران من الآية 144، ومثال الثّاني: إنّما عندك زيد. ممّا يعني أنّ الجانب الدّلاليّ هنا، والّذي هو الحصر قـــــد صار شرطا لحكم نحويّ، وهذا ممّا يثبت مجدّدا فكرة التّعانق النّحويّ الدّلاليّ إذ التّعانق اشتراك، فتارة ينبثق عن الحكم النّحويّ دلالة وتارة تكون الدّلالة شرطا لحكم نحـــويّ، ولئن كان هذا في الجملة الاسميّة فله في الجملة الفعليّة أيضا نظائر، إذ يتوجّب تقديم الفاعل على المفعول به إذا خُشي اللّبس، كضرب موسى عيسى، أو إذا حصر المفعول به، ومثاله: إنّما ضرب زيد عمرا[3]، كما يتوجّب تقديم المفعول به على الفاعل إذا حصر الفعل في الفاعل[4]، كنحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ فاطر: 28، كما قد يتقدّم المفعول به على

الفعل والفاعل معا إذا أريد التّعظيم والاختصاص[5]، كما في قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ الفاتحة: 05.

فالملاحظ ممّا سبق أنّه ما من تقديم أو تأخير إلاّ لخشية التباس معنى بمعنى، آخر أو لحصر، أو لتعظيم واختصاص، وكلّها معان، وهو المجال الّذي يدور فيه النّحو، والنّحو ـــ كما هو معروف ـــ هو المعنى، والمعنى هو الدّلالة، ولا أدلّ على المعنى السّليم الدّقيق من النّحو السّليم .

---

[1]- ينظر: أوضح المسالك ... السّابق، ج: 01، ص: 208.

[2]- ينظر: م نفسه، ص: 215.

[3]- ينظر: أوضح المسالك ....السّابق، ج: 02، ص: 119-120.

[4]- ينظر: م نفسه، ص: 129.

[5]- الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر بن أيّوب الزّرعيّ (ابن قيّم الجوزيّة م: 751هـــ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ص: 82. ينظر كذلك: همع الهوامع ... السّابق، ج: 03، ص: 09.

ظاهرة الحذف: ونعني به حذف عنصر من عناصر التّركيب، وهذه بعض النّماذج:

العارض	الدّلالة	الشّاهد
حذف الفاعل	لجلالة الفاعل[1]	- قال تعالى: ﴿**قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ**﴾ الذّاريات: 10، والمراد قتل الله الخرّاصين.
	لتحقير الفاعل[2]	- لئن كنت قد بلّغت عنّي وشاية لمبلغك الواشي أغشّ وأكذب- النّابغة-
	للجهل به[3]	- سرق متاعي
	لكونه معلوما[4]	- ﴿**خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ**﴾ الأنبياء، من الآية: 37.
حذف المفعول به	لإرادة الفعل لا مفعول معيّن[5]	- فلان يعطي ويمنع، ويصل ويقطع.
	للاحتقار[6]	- ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾ المجادلة: 21، أي: الكافرين.
		- قول عائشة أمّ المؤمنين رضي الله

[1]- ينظر: شرح المفصّل لابن يعيش، السّابق، ج: 07، ص: 126.

[2]- ينظر: من نحو المباني إلى نحو المعاني، السّابق، ص: 158-159. والبيت الشّعريّ مذكور في ديوان النّابغة (صنعة ابن السّكّيت)، تحقيق: شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، 1968م، (ق: 08)، ص: 72.

[3]- ينظر: أوضح المسالك ....، السّابق، ج: 02، ص: 135 (الهامش).

[4]- ينظر: أوضح المسالك ....، السّابق، ج: 02، ص: 135 (الهامش).

[5]- ينظر: شرح المفصّل لابن يعيش، السّابق، ج: 02، ص: 93-94. ينظر كذلك: دلائل الإعجاز، السّابق، ص: 154.

[6]- ينظر: أوضح المسالك ... السّابق، ص: 184.

	للاستهجان[1]	عنها في حادثة الإفك: «ما رأى منّي ولا رأيت منه» أي: العورة.

فإن قيل: إنّ المفعول به لا هو مسند ولا هو مسند إليه، نقول: نعم، ولكنّه من المتمّمات الّتي لا تحصل الفائدة بدونه في الغالب إذا تعدّى فعله، ثمّ إنّه من النّحو، والنّحو معنى، وإنّ المعنى لا يبرز إلّا في نحو سليم، والمدوّنة النّحويّة ثريّة بمثل هذه النّماذج بشواهدها.

وممّا يعزّز أيضا فكرة عناية النّحاة العرب بموضوع الدّلالة في مصنّفاتهم تلك الأهمّيّة الّتي أولوها لما يسمّى بإعراب المعنى فضلا عن إعراب اللّفظ، يشهد على ذلك كثير الإشارات المتضمّنة في تلك المدوّنة كجرّ الفاعل في نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ**﴾ البقرة من الآية: 251[2]، ومنه إضافة الصّفة المشبّهة إلى فاعلها في نحو قولنا: عصام كريم الأصل[3]، أو كأخذ ما بعد (واو العطف) حكم ما قبلها ومعناه، ولا أدلّ على هذا الأخير من أن يُعطف ما بعدها على محلّ ما قبلها إذا كان عامل ما قبلها معلّقا كنحو ما نجده مع (ظنّ وأخواتها) ومنه قول كثير عزّة:

وما كنت أدري قبل عزّة ما البكى ولا موجعات القلب حتّى تولت[4].

وقريبا منه أيضا ما في نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ**...﴾ العنكبوت من الآية: 33، إذ نصبت (أهل) عطفا على موضع المعطوف عليه (أي: محلّه)، لأنّ محلّ الضّمير في (منجّوك)نصب (إذا روعي إعراب المعنى) لأنّه المفعول به[5]. وقريبا منه أيضا ما

---

[1]- ينظر: م نفسه

[2]- ينظر: أوضح المسالك .....، السّابق، ص: 84.

[3]- ينظر: المعجم المفصّل في علم الصّرف، السّابق، ص: 289.

[4]- ينظر: أوضح المسالك ...، السّابق، ص: 63-64.

[5]- ينظر: إملاء ما منّ به الرّحمن من وجوه الإعراب والقراءات، في جميع القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبريّ (538-616هـ)، صحّح ووضع حواشيه بعناية ومراجعة النّاشر، دار الفكر، بيروت، لبنان، (1431-1432هـ/2010م)، ص: 479.

في قوله تعالى: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ البقرة من الآية: 271، وذلك بجزم (يكفّر) عطفا على محلّ (فهو خير لكم) لوقوعه جواب إنْ[1]. كما قد رفعت (غير) إتباعا لمحلّ الموصوف في نحو قوله تعالى: ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ**﴾ فاطر من الآية: 03.

إنّ الدّلالة وإن لم تكن في القديم علما قائما بذاته – بالمفهوم الحديث– إلّا أنّ كثيرا من موضوعاتها قد طرقت حتّى صارت جذورا لما يطلق عليه اليوم «بعلم الدّلالة»، ومن ذلك ما يسمّى بنظريّة السّياق بأنواعه المختلفة، ومثلها نظريّة الحقول الدّلاليّة، ودور كلّ ذلك في فهم المعنى، أضف إليه ما أطلقوا عليه بمصطلح «الانزياح الدّلاليّ» الّذي قد يعدّ المجاز اللّغويّ عندنا بمثابة الجذر الأساس لظهوره وتطوّره.

إنّ أيّ محاولة لتجريد درس النّحو من مضامينه الدّلاليّة قد تجعله كالجسد الّذي لا روح فيه، وعليه فقد بات لزاما الإقرار بضرورة تدعيم البرامج التّربويّة والمفردات التّعليميّة المتعلّقة – خصوصا– بهذا العلم بالحديث عن تلك الإشارات الدّلاليّة بغرض إنجاح العمليّة التّعليميّة والتّربويّة على حدّ سواء، لأنّه إذا كان لكلّ علم غاية تكمن في تصحيح المعتقد أو توجيه الفكر أو تقويم السّلوك، فإنّ الغاية من علم النّحو بتفريعاته وتجلّياتها الدّلاليّة الشّاملة قد تجسّدت على أرض الواقع منذ بدايات القرن الهجريّ الأوّل، وذلك بما تضمّنته مدوّنته من الشّواهد الحيّة النّابضة المقتبسة من القرآن الكريم على وجه التّخصيص، والّتي قد تعزّز كثيرا ممّا تضمّنته مسائله من الفوائد كمسألة الحصر الّذي في نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ فاطر: 28 وقوله ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ...**﴾ آل عمران من الآية: 144، وكذا الاختصاص في نحو قوله أيضا: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ الفاتحة: 05، هذا الّذي يستفاد منه توحيد الرّبوبيّة لله تعالى وتوحيد الألوهيّة على حدّ سواء. أضف إليه ما يمكن إفادته – مثلا – من بعد الوقوف

[1]– ينظر: إعراب القرآن وعلل القراءات، نور الدّين أبو الحسن عليّ بن الحسين الباقوليّ (م: 543هـ)، تحقيق: الشربينيّ شريدة، دار اليقين، مصر، 1431هـ/2010م، ط: 01، ص: 107.

على بعض أسرار الالتفات من التّجرّد إلى الزّيادة في نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ القمر: 17، أو المبالغة في نحو قوله: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾ طه من الآية 132، وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى**﴾ الحجرات من الآية: 03، وغير ذلك كثير وكثير جدّا، فهل من مدّكر؟.